تمهيـــــد :

عرف المجتمع الجزائري قبل ظهور الإرهاب فيه جملة من التغيرات مست جميع جوانبه، الثقافية، الاجتماعية، الاقتصادية والسياسية، نتيجة للفكر المتطرف الذي ساد فيه بالإضافة إلى الإخفاقات التي سجلتها العملية التنموية بأشكالها المختلفة في الجزائر .

إن الاعتقاد القائـــل بأن الظروف التي سادت في المجتمع الجزائـــري مع نهاية الثمانينيات هي سبب انتشار الإرهاب عاري من الصحة، لأن المتعمق في خبايا الظاهـــرة في الجزائر يمكنـــه أن يصل إلى حقيقـــة مؤداهـــا أن ظاهرة الإرهاب ترجع جذورها إلى سنوات طويلـــة ماضية من تاريخ الجزائر المعاصر .

سنحاول من خلال هذا الفصل تتبع كيفية تشكل الفكر الإرهابي في المجتمع الجزائري انطلاقا من جذور الظاهرة المتمثلة في تبني الحركة الإسلامية الجزائرية لفكر الإخوان المسلمين المتعصب، وصولا إلى تشكل الخلايا الإرهابية في الجزائر .

3 - بداية تشكل الفكر الإرهابي في المجتمع الجزائري

3ـــ1: المنطلقات الفكرية للحركة الإسلامية في الجزائر

مع بداية القرن العشرين بدأت ملامح تشكل الفكر الإرهابي في الجزائر تظهر من خلال تأثر الحركة الإسلامية الجزائرية بالفكر المتعصب لحركة الإخوان المسلمين، وهذا ما سنستعرضه من خلال هذا العنصر .

3 .1. 1. التوجه الفكري لحركة الإخوان المسلمين

بداية من أواخر الثلاثينيات، أخذت حركة " الإخوان المسلمين " بتأسيس فروع لها بعدة دول منها: السودان، فلسطين، سوريا، والجزائر، حيث تواصـــلوا مع " جمعية العلماء المسلمين الجزائريين " التي أسسها " عبد الحميد بن باديس ". منذ ذلك الحين بدأ تيار من نزعة الإخوان المسلمين يتشكل داخل تلك الجمعية من قبل " محمد بشير الإبراهيمي" و" فضيل الورتيلاني " ، هذا الأخير أقام في القاهرة مطلع الأربعينات لفتح مكتب للجمعية ، كان عمله ظاهريا يتجه نحو مساعدة الطلبة الجزائريين، بينما في الخفاء كان يحاول إقامة علاقات مع المنظمات الإسلامية الفاعلة آنذاك على المسرح السياسي المصري مثل : تنظيم الشبيـــبة المسلمـــة، عباد الرحمان، و بشكـــل خاص " الإخوان المسلمين " . [1]

في مصر كان هناك قائد ومنظر لحركة الإخوان المسلمين يتمثل شخصه في "سيد قطب " الذي تتلمذ على يد " حسن البنا " ، وقد قدم في كتابه "معالم في الطريق" أفكارا ستكون فيما بعد مرجعية لمعظم الحركات الإسلامية في العالم العربي و الإسلامي. حيث لم يكتف فيه بتحويل الحركة الإسلامية إلى ثكنة عوض تيار فكري، بل رغب في تكوين جماعة تتمسك باحتكار الإسلام وتصنف كل من هم في غير تنظيمه في خانة المشركين هؤلاء لابد أن يكون مصيرهم الإبادة بالحديد والنار...، و بهذه الأفكار يكون سيد قطب " قد عمق ذهنية

---

1)– لياس بوكراع ، **الجزائر : الرعب المقدس**، ترجمة : خليل أحمد خليل ، ط1 ، دار الفارابي ، بيروت ، لبنان ، 2003 ، ص223.

الجاهلية، التي كان قد سبقه إليها " أبو العلاء المردودي "، الاثنان شكلا سوية مرجعية فكرية تتوازى في توجهها مع العالم المعاصر. [1]

لقد استلهمت الحركة الإسلامية الجزائرية من الخطاب الفكري لحركة الإخوان المسلمين وعلى رأسهم أفكار " سيد قطب "، تصورها لإعادة تشكيل المجتمع الجزائري، وفي هذا الصدد يقر أحد قادة الحركـــة الإسلامية في الجزائر بتأثره العقائدي بالخطابات الفكرية لحركة الإخوان المسلمين في مصر حيث يصرح قائلا: " لقد تأثرنا بمدرسة ابن تيمية و رأيه المجدد الذي يبجل العودة إلى الإسلام الحقيقي إسلام الكتاب و السنة، وإلى الفهم الصحيح لصحابة الرسول صلى الله عليه وسلم.. كما أننا تحملـــنا تأثيرا قويا من طرف الإخوان المسلمين، من أمثـــال الشيـــخ " حسن البنا "، " سيد قطـــب "، و" عبد القـــادر عودة "، وقرأنا كل ما كتبه " سعيد حـــــوا ".. و فوجئنا بمواقفهم الجريئة ومقاومتهم للطاغـــوت " . [2]

إن مثل ذلك التصريح السالف الذكر يحتم علينا ضرورة العودة إلى جذور تلك الأفكار والاعتقادات التي[i] اعتمدتها الحركة الإسلامية في الجزائر وتبنتها من أجل التغيير الذي تنشده في المجتمع، خاصة تلك المعتقدات التي جاء بها " سيد قطب " والتي مثلت مرجعية فكرية للحركة الإسلامية الجزائرية منذ تشكيلها وإلى غاية تحولها نحو العمل السياسي المسلح، لذلك سنحاول من خلال هذا العنصر الوقوف عند أهم الأسماء التي تم تداولها بين الإسلاميين الجزائريين أثناء نشاطهم السياسي وكيفية تأثيرها في تشكل الفكر الإرهابي في المجتمع الجزائري .

في كتابه الشهير " معالم في الطريق " يؤكد " سيد قطب " " أن المجتمعات القائمة كلها مجتمعات جاهلية وغير إسلامية، وإنه ينبغي التأكيد أن

---

1) محمد عصامي ، **في عمق الجحيم : معول الإرهاب لهدم الجزائر** ، ترجمة : م. سطوف ، [د ط] ، المؤسسة الوطنية للاتصال والطبع والنشر ، الجزائر ، 2002 ، ص 22 .

2) علي سموك ، **إشكالية العنف في المجتمع الجزائري ، من أجل مقاربة سوسيولوجية** ، [د ط] ، مختبر التربية ، الانحراف والجريمة في المجتمع ، جامعة باجي مختار ، عنابة ، الجزاير ، 2006 ، ص265 .

الإسلام لا علاقـــة له بما يجري في الأرض كلها اليـــوم لأن الحاكمية ليست له، والبديل الوحيد لهذه الأوضاع الزائفة هو أولا وقبل كل شيء قيام مجتمع إسلامي، يتخذ الإسلام شريعـــة له ولا تكون له شريعة سواه .

حاول " سيد قطب " من خلال كتابه الذي ذكرناه سابقا وضع معايـــير محددة للتفريـــق بين المجتمع المسلم والمجتمع الجاهلي، وقد حاول أيضا أن يدقق في الشروط التي يعتقـــد أنها متعارف عليها وتحدد المسلم وغير المسلم ببساطة ودون جدال.

يقول "قطب" : " إن المجتمع الجاهلي يتمثل في صور شتى، كلها جاهلية منها : قد يتمثل في صورة مجتمع ينكر وجود الله تعالى، و لكن يجعل له ملكوت السموات، ويعزله عن ملكوت الأرض فلا يطبق شريعته في نظام الحياة، و لا يحكم قيمه التي جعلها هو قيما ثابتة في حياة البشر، وبذلك يكون مجتمعا جاهليا ولو أقر بوجود الله، و لو ترك الناس يقدمون الشعائر لله، في المجتمع في الكنائس والمســـــاجد ". [1]

في موضع آخر يؤكد " قطب " : " أنه لابد من درجة من القوة لمواجهة المجتمع الجاهلي، قوة الاعتقاد والتصور، وقوة الخلق والبناء النفسي، وقوة التنظيم والبناء الجماعـــي، و سائر أنـــواع القوة التي يواجه بها المجتمع الجاهلي.. قوة الصمود، و قوة التغلب عليه ". إذن إذا كانت رسالة "الفريضة الغائبة" هي الأهم و الأبرز لدى الجماعات الإسلامية النضالية في مرحلة العمل و الكفاح.. فإن كتاب "معالم في الطريق" لسيد قطب يمكننا اعتباره النص التأسيسي للإسلام الحزبي النضالـــي. حيث من سطـــور ذلك الكتاب السالف الذكر خرجت جماعـــات الإسلام النضالي على الأقل عربيا. [2]

يتضمن نص "سيد قطب" الذي أوردناه سابقا الفكرتين النظريتين الرئيسيتين السائدتين في الفكر العقائدي للحركات الإسلامية المكافحة من أجل

---

1) علي سموك ، مرجع سابق ، ص 264 .

2) هشام الحديدي ، **الإرهاب : بذوره وبثوره زمانه ومكانه وشخوصه** ، ط ، الدار المصرية اللبنانية ، القاهرة ، 2000 ، ص ص 56 ، 57 .

تغيير المجتمعات الإسلامية عموما والعربية على وجه التحديد التين تستند إليهما هذه الجماعات المكافحة؛ وهما **فكرة الجاهلية**، و**فكرة الحاكمية**.

إن " سيد قطب " يكون قد قدم تقسيما جديدا، حيث قد يكون المجتمع موحدا عرفيا واثنيا ودينيا، إلا أن " قطب " يضع معيارا جديدا داخل الواحد والمجتمع المنسجم، ليقسم الناس. هذا التقسيم ليس طبقيا إذ لا يقوم عل التفاوت الاجتماعي- الاقتصادي الطبقي، فقطب يبحث عن نقاء عقيدة المجتمع.

مما سبق ذكره يمكننا القول أن " سيد قطب " يعتقد أن العالم اليوم – بما فيه الإسلامي – تطبق عليه جاهلية مدمرة شبيهة بتلك الجاهلية التي كانت سائدة قبل الإسلام، ويرجع ذلك حسب اعتقاده إلى تجاهل مفهوم " لا إله إلا الله " الذي يجعل الحاكمية لله وحده.

نورد في هذا المجال قولا شائعا له إذ يقول: ألم يرد في القرآن الكريم قوله تعالى: " إن الحكم إلا لله " ، " ألا له الخلق والأمر " وقوله تعالى أيضا: " أفحكم الجاهلية يبغون ومن أحسن من اله حكما لقوله يوقنون". وما هو موجود في العالم اليوم حسب قطب هو حكم البشر وطواغيتهم في وجه ألوهية الله وحكمه وشريعته. ولابد لجلاء الجاهلية عن التوحيد من أن تقوم قلة مؤمنة، فتعتزل شعوريا قيم الجاهلية وتصوراتها وتخلص العمل لله، حتى إذا استقامت أمورها تماما انقضت على الجاهلية فنقضت ما شيدته حصنا، و أعادت حكم الله إلى الأرض. [1]

تبنى " سيد قطب " ومن بعده الجماعات الإسلامية ما يسمى بجاهلية القرن العشرين وبالتالي ازدهرت فكرة التكفير وأصبحت تهمة قد تصل عواقبها إلى درجة القتل، إلى أن إطلاقها على المخالفين أصبح أكثر سهولة ، ضف إلى ذلك ظهرت في الأدبيات الإيرانية بالذات، كلمة الطاغوت، لتحمل نفس دلالات الجاهلية والتي توصف بها في الغالب النظم والدول والأفراد، إلا أن تقسيم "السيد قطب" للمجتمع يذهب بعيدا حيث يقول: المجتمع الإسلامي- بصفته تلك – هو

1) هشام الحديدي ، مرجع سابق ، ص 56 .

وحده المجتمع المتحضر، والمجتمعات الجاهلية – بكل صورها المتعددة – مجتمعات متخلفة.

بعد هذا التقسيم يحاول " قطب" الوصول إلى هوية جديدة وانتماء مختلف يوازي كل الروابط السابقة المتعارف عليها، ويؤكد قوة ورقي عناصر الترابط غير المادية، ليصل إلى أن المجتمع القائم ليس هو المجتمع المنشود وهو مجتمع فاسد ولا مستقبل له وبالتالي يجب إزالة هذا المجتمع وهذا واجب ديني وتكليف إلهي.

يضيف قطب أن أي عملية تأسيس تبدأ بالهدم لذلك **فالمهمة الحالية للمسلمين الحقيقيين هي القضاء كلية على شرور و فساد هذا المجتمع، فالشر ليس فرديا بل مجتمعيا كما أن المؤسسات الحديثة تشكل أساس كل الشرور و الفساد.**

لقد أصبحت للسيد قطب قوة وسلطة لدى مجموعة تزعم أنها نقية و قادرة على تحقيق النقاء في المستقبل، وهذا التقسيم ليس مجرد خلاف مذهبي حول الإسلام كما عهدنا ذلك خلال التاريخ الإسلامي مع نشأة الفرق و المذاهب، بمعنى أخر ليس اختلافا حول الفروع و التفسيرات التي تعرفها الأمة الإسلامية، إنما هناك رؤية كاملة جديدة تحدد من هو المسلم الحقيقي و الأصيل و هذه من آليات نفي الآخر. [1]

إذن يمكن القول بأن قطب يمثل صورة الآخر المختلف حيث يؤكد دائما أن الإسلام لا يعرف إلا نوعين من المجتمعات، مجتمع إسلامي ومجتمع جاهلي، المجتمع الإسلامـــي هو المجتمع الذي يطبق فيه الإسلام (عقيدة و عبادة و شريعـــة و نظاما خلقا وسلوكا). والمجتمع الجاهلي هو الذي لا يطبق فيه الإسلام ولا تحكمه (عقيدتـــه، وتصوراتـــه، وقيمه، وموازينه، ونظامـــه، وشرائعه، وخلقـــه وسلوكه). ويؤكد " سيد قطب " أن **المجتمع الإسلامي ليس هو الذي يضم أناسا ممن يسمـــون أنفسهم مسلمـــين، بينما لا تمثل الشريعة الإسلامية القانون الذي ينظم ويحكم هذا المجتمع، حتى إن أدى أفراد هذا المجتمع الفرائض الإسلامية من صلاة وصيام** وحج .

---

1) علي سموك ، مرجع سابق ، ص ــ ص 263 ــ 265 .

إن الدارسين للتطور الفكري للسيد قطب يرون أن راديكاليته برزت بعد عام 1952م، حيث أثناء هذه الفترة بالذات صار عضوا في الإخوان المسلمين، لكنه لم يكتب شيئا في الجاهلية والحاكمية إلا بعد عام 1954م، وذلك عندما دخل مع آلاف من رجال جماعة الإخوان المسلمين السجن للمرة الأولى بعد اصطدام الإخوان الأول بنظام الرئيس عبد الناصر، وفي السجن أقبل السيد قطب على كتابة تفسيره المشهور: "في ظلال القرآن"، فظهرت فيه لأول مرة فكرة الحاكميـــــة، وفكرة الجاهليـــــــــــة. * [1]

2.1.3. تأثر الحركة الإسلامية الجزائرية بحركة "الإخوان المسلمين" وتحولها نحو الفعل السياسي

بدأ المفكرون العرب والمسلمون بإبراز محاسن الإسلام من خلال عقدهم لمقارنات بين التشريعات المختلفة ووجوه النظم، وكذا تصور الكون والإنسان. لقد صنع الإخوان المسلمون في المشرق العربي والمفكرون القريبون منهم فضاء فكريا غاصا بأفكار الخصوصية والأصالة، إلا أن الجماعات التي أيدت فكر "سيد قطب" هي التي مضت بتلك الأفكار إلى نهاياتها، الأمر الذي قاد إلى ظهور الإسلام الحربي المناضل على أساس منها.

قبل قيام الثورة الجزائرية كانت الشخصيات الدينية هي التي تتولى تنظيم الثورة على نحو كامل أو جزئي، كما كانت تتولى قيادتها أيضا . لقد كان هؤلاء المنظمين والقادة الدينيين يطمحون إلى تحقيق الكثير أي أنهم كانوا يرمون تقريبا وبشكل واضح إلى تحقيق هدف مترابط ككل . وكانت هذه الغاية هي هدف "الحرية للإسلام " الذي كان يمكن النظر إليه باعتباره قد تعرض للتشويه من طرف الاستعماريين الكفرة. [2]

✸ كان " سيد قطب " قد قضى بأمريكا مبعوثا من قبل وزارة التعليم المصرية ما بين سنتي 1948 م و 1950 م ، ومنها عاد بعداء كبير للغرب و للمتغربين . وقد اطلع على كتابات أبي الأعلى المودودي زعيم الجماعة الإسلامية في باكستان والتي بلور فيها فكرة الحاكمية .

1) هشام الحديدي ، مرجع سابق ، ص 58 .

2) إدموند بيرك وإيرا لابيدوس . **الإسلام والسياسة والحركات الاجتماعية** . ترجمة : محروس سليمان ، مكتبة مدبولي ، القاهرة ، 2000 م ، ص 89 .

وإذا كان " فرانز فانون " يعتقد أنه على شعوب العالم الثالث أن تتخلى عن معتقداتها التقليدية حتى تشن نضالا ناجحا ضد الامبريالية الغربية، فإن علي شريعتي✸ يرى أن شعوب العالم الثالث لن تستطيع محاربة الامبريالية إن لم تستعد أولا هويتها الثقافية ممتزجة بالتقاليد الدينية الشعبية . ومن ثم أصر شريعتي على أنه على بلاد العالم الثالث أن تعيد اكتشاف جذورها الدنية قبل أن تتحدى الغرب . (1)

إن الحركة الوطنية المناضلة للاستعمار في الجزائر تكون قد خرجت من عباءة الحركة السلفية الإصلاحية الموازية لحركة الإصلاح الإسلامي بالمشرق، ولهذا كان رجال الحركة الوطنية هم أنفسهم رجال جبهة التحرير الوطني في الجزائر. (2)

بمعنى آخر فإن رجال جبهة التحرير الوطني المناضلة ضد الاستعمار كان من بينهم أولئك الذين جاؤوا من التيار الديني الذي كانت تمثله جمعية العلماء

✸وهو الأيديولوجي الأساسي في الثورة الإيرانية حيث تلقى إلهامه من الخارج وأيضا من داخل الإسلام : من علم الاجتماع الغربي وبشكل واضح علم الاجتماع الماركسي وأيضا من علم العقائد الإسلامي ، ومن منظري العالم الثالث وبصفة خاصة "فرانز فانون" FRANTZ FANON وكذلك من تعاليم شهداء الشيعة الأوائل، وقد كرس حياته من أجل صياغة اشتراكية عصرية بواسطة المذهب الشيعي التقليدي، والمواءمة بين النظريات الثورية عند ماركس وفانون والمفكرين العظام الآخرين غير الإيرانيين والبيئة الإيرانية ، .كان ينظم المسيرات الطلابية في باريس تأييدا للثورة الجزائرية ص 457 .

1) إدموند بيرك وإيرا لابيدوس ، مرجع سابق ، ص ص 459 . 460 .

2) الربيع جصاص ، **الحركات الإسلامية والتغير الثقافي في المجتمع الجزائري** ، رسالة دكتوراه غير منشورة ، قسم علم الاجتماع والديموغرافيا ، كلية العلوم الغنسانية والعلوم الاجتماعية ، جامعة منتوري ، قسنطينة ، 2007 م ــ 2008 م ، ص278 .

المسلمين الجزائريين، والذين انضووا تحت لواء جبهة التحرير الوطني من أجل مناهضة الاستعمار الفرنسي بالجزائر.

تبنت جبهة التحرير الوطني بالجزائر التي قادت الثورة ضد الاستعمار الفرنسي " النهج الاشتراكي" حيث ورد في مواثيقها أن الهدف من الثورة ضد الاستعمار الفرنسي، هو تحقيق الاستقلال وبناء الدولة العربية الديمقراطية الشعبية القائمة على الإسلام والانتماء العربي، الأمر الذي أكسبها تأييد الاتجاه الإسلامي الممثل في جمعية العلماء المسلمين الجزائريين.

لقد شكلت جمعية العلماء المسلمين الجزائريين التي أنشأها "عبد الحميد ابن باديس" في الثلاثينات من القرن الماضي حركة إصلاح واسعة في المجتمع الجزائري، حيث جعلت من الإصلاح أسلوبها في مواجهة التغريب الاستعماري، من خلال إعادة بناء الهوية ومحاربة البدع والطرقية، وتنظيم أساليب مقاومة الاستعمار، وذلك من خلال إعادة تشكيل الوعي الديني لدى الأفراد، والتشديد على أهمية اللغة العربية والثقافة والهوية الإسلامية.

لن نضيف الجديد إن قلنا أن الاستعمار الفرنسي في الجزائر عمل منذ البداية على محاولة ضرب شخصية المجتمع المميزة، وذلك من خلال إثارة النعرات الإثنية تارة، ومحاولة التنصير تارة أخرى، وكذا من خلال تغليب البربرية على العربية كلما سنحت الفرصة بالإضافة إلى تشجيع الهجرة إلى فرنسا، إلى آخر سلسلة التقسيمات الإدارية والعسكرية التي ابتدعها لمنع تلاحم السكان وتمازجهم وللإبقاء على البنى القبلية الكفيلة بحماية مصالحهم.

في ظل تلك الظروف التي كانت تعيشها الجزائر تحت نير الاستعمار الفرنسي، ظهر إلى الوجود جمعيات تحاول المحافظة على الهوية العربية الإسلامية للشعب الجزائري لعل أهمها " جمعية العلماء المسلمين " التي أخذت على عاتقها هذه المهمـــة ووقفت بذلك في وجه الاستعمار لكن ذلك كان بشكل سلمي، حيث كان هدفها الدفاع عن الإسلام وتدريس اللغة العربية وقد فتحت من أجل ذلك مدارس، حيث لم تكن هذه الأخيرة تلك المدارس القرآنية التي يتعلم فيها الأطفال القرآن الكريم، ويحفظوه عن ظهر قلب دون فهم لمعانيه، وإنما كانت

مدارس فيها أقسام أين يجلس الأطفال على مقاعد ويكتبـــون على طاولات مقابل سبورة، ويدرســـون الآداب، التاريخ، الجغرافيا، العلوم والرياضيات وغيرها من العلوم، وكان كل ذلك يتم باللغة العربية، وهي بذلك لا تختلف عن المدارس الفرنسية التي كانت موجودة بالجزائر أثناء الاستعمار الفرنسي. بالإضافة إلى ما سبق ذكره فقد أنشأت جمعية العلماء المسلمين الجزائريين مساجد في المدن الرئيسية، كما رفضت أن توصف بحزب سياسي وفضلت أن يقتصر نشاطها على توعية المجتمع الجزائري حتى لا ينسلخ عن هويته.[1]

لم يكن التوجه الإصلاحي لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين إلا إعادة إحياء الفكر الديني الذي عمل الاستعمار الفرنسي في الجزائر على تشويهه، وبذلك نظم المنضوون تحت لواء هذه الجمعية ما عرف بالإسلام الشعبي الذي لم يكن أيديولوجيا ولا تنظيما قائما، ولم يكن يحتل رقعة جغرافية محددة، إن الإسلام الشعبي الذي تبنته الجمعية وإن كان يعتمد على الإلهام الصوفي في الأسلوب، ويغلب عليه الطابع الريفي في أسسه الاجتماعية، إلا أنه يعتبر عاملا أساسيا في مقاومة الغزو الاستعماري، حيث لعب دورا مهما في تعبئة المقاومة ضد الاستعمار الفرنسي.

لقد انتقل الإسلام الشعبي إلى الإسلام الإصلاحي في الجزائر لأسباب عديدة نوجزها فيما يلي: [2]

1)- ينبع الإسلام الشعبي من جذور جزائرية و مغاربية ، و ذو خصوصية محلية، بينما حركة الإسلام الإصلاحي، نجدها قد تأثرت بحركات الإسلام في الشرق الأوسط خاصة منها حركة الإخوان المسلمين التي أنشأها "حسن البنا" في مصرن وفكر كل من "محمد عبده" و "جمال الدين الأفغاني".

---

1) Lhouari Addi, **L'Algérie et la démocratie, pouvoir et crise du politique dans l'algerie contemporaire**

éd la découverte,Paris, 1995, p19. ,

2) الربيع جصاص ، مرجع سابق ، ص ص271، 272 .

2)- إذا كان الإسلام الشعبي قد مثل حركات مقاومة متقطعة، في أماكن جغرافية محدودة و منفصلة عن الحركات الأخرى (جغرافيا وزمنيا)، فإن مجال حركة الإسلام الإصلاحي لم يبق محصورا في رقعة جغرافية محددة (لا جغرافيا ولا زمنيا) بل تعدى ذلك ليشمل كافة القطر الجزائري، ضف إلى ذلك التجديد في الفكر والعقيدة الدينية كان الهدف الأسمى لحركة الإسلام الإصلاحي، وبلغة معاصرة يمكن القول أن هذه الحركة شملت المجتمع المدني بجميع فئاته في المدن الجزائرية أين كان النشاط الحركي لمختلف التيارات نشطا وموجها لحركة المجتمع نحو توجه معين، وأين كان النشاط الديني مقتصرا على العبادات والعادات الاجتماعية ذات الصلة بالقيم المجتمعية.

3)- يرجع بعض المنشغلين بالحركة الإسلامية خصوصا، وبالصحوة الإسلامية عموما بروزها إلى النظام السياسي القائم في الدول العربية على وجه الخصوص- سواء خلال الحقبة الاستعمارية أو بعد الاستقلال، وذلك في تعامله مع التيارات المختلفة بما في ذلك التيار الإسلامي و تبنيه لنمط سياسي ذو وجهين.

أحدث الاستعمار الفرنسي تحولات وتغيرات عديدة أدت إلى انقسام المجتمع الجزائري على ذاته، إذ لم يكن ذلك الاستعمار مجرد ضغوط خارجية، بمعنى آخر مجرد مجموعة من البشر جاءت لتحتل وتستوطن ينتهي أمرها بمجرد الخروج أو الانسحاب من الأرض المحتلة كما كان الشأن بالنسبة للاحتلال الانجليزي لدول المشرق، بالإضافة إلى ذلك فإن الاستعمار الفرنسي في الجزائر لم يكن لغة في مواجهة لغة، أو أخلاقا في مواجهة أخلاق، بل كان منظومة ضاغطة من المؤسسات والإجراءات كان من أهم نتائجها فرض لغة وأخلاقيات جديدة، وخلق مجموعة من التحولات الثقافية، والاقتصادية والسياسية التي من شأنها تفكيك البنية الاجتماعية القائمة وتدفع شروطا جديدة في مجالات الإنتاج والحكم والإدارة والاتصالات.

فقدت اللغة العربية مكانتها الأولى كوسيلة تعبير رسمية في الجزائر نتيجة العلاقات بين الغالب والمغلوب التي فرضها الاستعمار الفرنسي، وفي هذا

السياق يقول "مصطفى الأشرف" : " كانت اللغة العربية دائما في وضعية المغلوب خلال الاستعمار وبعد الاستقلال، فتقهقـرت كأداة تعبير وتخاطب وتوصيل، وبقيت أداة تراثية مقتصرة على المبادئ بعجز واضح عن مواكبة المستجدات ".

ظهرت اللغة الفرنسية كلغة دنيويـة مسيطـرة في دواليـب الإدارة والاقتصاد والحكم الاستعماري، وتفوقت العربية وظهرت كسمو روحي وجسد ممتاز للآخرة، نتيجـة إضفاء الطابـع الديني عليها بحجة روابطهـا مع ((الكتاب والوحي والنص الديني، وفي هذا المناخ الثقافـي تحددت المجالات مابين دينـي ودنيوي، وتعددت أنماط المثقفين مابين العربي، والمفرنس، وهذا يعني انقسام المجتمع على ذاته ثقافيا وهو انقسام يشكل أرضية خصبة لظهور فكرة الهوية.

استخدم الاستعمار الفرنسي طرقا مختلفة لمحاربة اللغة العربية والإسلام للقضاء على الهوية العربية الإسلامية للشعب الجزائري، ففي عام 1904م صدر قانون يمنع تدريس اللغة العربية إلا بإذن خاص من سلطات الاحتلال، وحتى لو حصل أحدهـم على مثل هذا الإذن كان عليه أن يكتفي بتدريس القرآن الكريـم مع التغاضـي عن كل الآيات التي تشيـر إلى " الجهاد". وكان المرسوم الأول الذي أشير فيه صراحة إلى "المسلمين الفرنسيين" بهدف تعزيز عملية الدمج قد صدر عام 1885م وألحق عام 1938م بالقانون الذي يعتبر اللغة العربية لغة أجنبية، كما بدأت منذ ذلك الحين المحاولات الدؤوبـة لتشجيع استعمال العاميـة كمدخل لمخاطبة عامة الشعب، وخلق البلبلة في صفوفه، وتشجيع استعمال اللهجة البربرية، كما طال الاضطهاد وكل ما يمس التراث الوطني الجزائري من كتب ووثائق ومخطوطات وحتى التراث الفلكلوري والشفهي، وكان أبرز ضحايا هذا الاضطهاد المكتبة الشهيرة التي شيدها "الأمير عبد القادر" والتي أحرقت مباشرة بعد إلقائه للسلاح. [1]

1) عبد الباسط دردور ، مرجع سابق ، ص ص244،24 .

يبدو أن هذا السلاح كان فعالا جدا، ففي عام 1949م طالب المناضلون ذوو الأصول الأمازيغية في فدرالية فرنسا (باريس– ليون) لحزب الشعب الجزائري PPA من " مصالي الحاج " زعيم الحزب، ضرورة إظهار العلاقة بين الإسلام والدين، وبالتالي طالبوه بإدارة الظهر لهذه الثقافة، و ضرورة جعل خطاب الحزب "علماني" كما طلبوا منه التراجع عن الرمزية الدينية، هؤلاء اللائكيون حتى وإن لم يكن لأصواتهم صدى لدى الشعب الجزائري أثناء الاستعمار الفرنسي، إلا أنه سيكون لهم دور بارز في الأحداث التي ستعيشها الجزائر المستقلة.

نجحت فرنسا في أثناء الحقبة الاستعمارية في تفريق التوجهات الإيديولوجية للنخبة السياسية الجزائرية، حيث ظهرت في ساحة الأحداث عدة جمعيات وأحزاب سياسية لكل منها توجه معين يختلف عن غيره، لعل أهمها، الناشطين السياسيين الأصليين MTLD - PPA الذين خلقوا FLN عام 1954م، العلماء المجتمعون في الجمعية الدينية AUMA (جمعية العلماء المسلمين الجزائريين) التي قادها "عبد الحميد ابن باديس" المتوفي عام 1940م، حزب "فرحات عباس"، وأخيرا الشيوعيون المتواجدون في التنظيمات النقابية والعمالية. (1)

هؤلاء الفرقاء السياسيون الذين خلقتهم فرنسا في الجزائر حتى وإن وحدهم حبهم لأن يروا وطنهم مستقلا يوما ما، إلا أن هذه الوحدة لن تدوم طويلا وسيعود التصادم الذي سبق الثورة التحريرية الجزائرية ليطغى من جديد على مسرح الأحداث السياسية في الجزائر المستقلة.

بإمكاننا القول أن آثار تلك المنظومة الضاغطة من المؤسسات والإجراءات التي خلقها الاستعمار الفرنسي في الجزائر لم يقتصر على المرحلة الاستعمارية من تاريخ الجزائر فحسب، وإنما انعكس ذلك بشكل لا يدع مجالا للشك على جزائر ما بعد الاستقلال وعلى الشعب الجزائري "الحر"، حيث لا يمكن لأحد اليوم أن ينكر أن هذا الشعب كان ولا يزال مسلوب الهوية حتى و إن

وجد هذا معارضة من البعض كون الشعب الجزائري انتماءاته هي للحضارة العربية الإسلامية أكثر منها للحضارة الغربية، ويدللون على ذلك ببعض الأحزاب والجماعات التي تمثل جزء من الشعب والتي تتخذ من العروبة و الإسلام مشروعا لها، هنا نقول أنه حتى و إن كان القول السابق على قدر كبير من الصحة، إلا أن بعض الأشخاص الذين أداروا شؤون الجزائر المستقلة هم أولئك الذين تربوا في خصب الثقافة الفرنسية التي كانت سائدة في الجزائر إبان الاستعمار الفرنسي.

يمكننا القول أن جبهة التحرير الوطني وحدت بين التيارات المتناقضة والمختلفـــــة في الإيديولوجيا أي بين الــفرقاء السياسيين الذين سبق وأن تحدثنا عنهم وذلك لتحقيق الهدف الوطني، بما في ذلك التيار الإسلامي الإصلاحي، الممثل في جمعية العلماء المسلمين، هذه الأخيرة لعبت دورا أساسيا في إعداد الإطار البشري

---

1) Lhouari Addi , Op , Cit , P 23 .

الذي احتضن الثورة تحت لواء جبهة التحرير الوطني، بالإضافة إلى رجال الزوايا ، والقوى السياسية الأخرى التي تخلت عن أيديولوجيتها (ولو مؤقتا) وانضم أفرادها إلى الثورة التي وجهت المجتمع الجزائري نحو توجه موحد .

ونضيف نقطة هامة تعتبر من بين أهم الأسباب المحركة للأزمة التي ستعرفها الجزائر فيما بعد والتي سنفصل فيها من خلال العناصر اللاحقة من هذه الدراسة. حيث بمجرد حصول الجزائر على استقلالها في 5 جويلية 1962م، كانت بداية الصدام بين تيارين أيديولوجيين متعارضين، إذ تغلغلت بعض العناصر في النظام وفتحت المجال أمام التيار التغريبي المتكون أساسا من المثقفين باللغة الفرنسية والشيوعيين، هذا التيار التغريبي كان يحاول دائما الابتعاد عن كل مظاهر الشخصية الجزائرية الأصيلة المتمثلة بشكل أكثر تحديدا في البعدين

الإسلامي ــ العربي الذي يمجده أفراد المجتمع الجزائري والذي حاولوا المحافظة عليه رغم المحاولات المتكررة للاستعمار من أجل القضاء على ذلك المكسب، هذا الصدام هو الذي سيخلق الصراع على السلطة في الجزائر.

ارتبطت التوازنات الاجتماعية في الجزائر بتناقضات المرحلة الاستعمارية الأمر الذي انعكس سلباً على مرحلة ما بعد الاستقلال حيث تمثل ذلك في عجز اجتماعي من خلال سيطرة بنى اجتماعية كانت تصبو إلى التغيير وأخرى ارتبطت بمحدودية المكان والزمان وحددت هويتها عوامل مثل الدين واللغة إذ واجهت العزلة والتفاعل مع المحيط والوقوف أمام التحديات والضغوط التي بدأ يفرضها وسط اجتماعي ثقافي متنوع في بنائه ودلالاته القيمية والمعيارية، بمعنى أن الصراع المجتمعي الذي تعرض له المجتمع الجزائري تمثل في بروز جناحين متعارضين من الناحية الأيديولوجية . الأول يرى الوجهة الأنسب للمجتمع في الضفة الأخرى من البحر المتوسط ، في مقابل ذلك يرى الجناح الآخر الحفاظ على القيم التقليدية المتوارثة في المجتمع .

إذا كانت جبهة التحرير الوطني قد استطاعت أن تجمع التيارات السياسية المختلفة قبل بيان أول نوفمبر 54 ــ التي كانت (أي التيارات) تختلف عن توجهها ــ لأجل تحقيق الهدف الأكبر المتمثل في الاستقلال، فإن التيار الديني رأى في التوجه العام للسياسة العامة للسلطة بعد الاستقلال واستيلاء التيار التغريبي على مقاليدها، خروجا عما أوردته مواثيق الثورة ومحاولة للقضاء على الاتجاه العروبي الإسلامي للجزائر.

في هذا الصدد نقول أن انحراف الدولة الجزائرية عن المبادئ التي قامت على أساسها الثورة الجزائرية هو الذي خلق تيارا موازيا للسلطة في الجزائر، حيث عمل هذا التيار على تثبيت تلك المبادئ في المجتمع الجزائري خاصة عندما هيمنت الجبهة على المؤسسة الدينيـــة، إن تبني الدولـــة الوطنية خيارا أيديولوجيا مغايرا لما حمله بيان أول نوفمبر– الذي وحد الأطياف السياسية المتناقضة في الجزائر– و مؤتمر الصومام 56، وميثاق طرابلس، المتفقة على بناء دولة جزائريـــة ديمقراطيـــة تقوم على مبادئ الإســـلام والانتماء العربي،

قاد البلاد إلى دوامة من عدم الاستقرار على كافة المستويات خاصة المستوى الأمني .

نتج عن الخلاف في التوجه الإيديولوجي بين النخبة السياسية في الجزائر بروز جمعيات دينية تحت الغطاء الخيري أبرزها "جمعية القيم" التي تم حلها في عهد الرئيس بومدين، و تمثل هدفها في إعادة البعث للحركة الدينية آخذة بمنهج الإصلاح الذي لزمه "ابن باديس" في جمعية العلماء، حيث عمل التيار الإسلامي الإصلاحي في الجزائر من خلال المسجـــد لنشر الفكر السلفي الإصلاحي الذي يعتبر "محمد عبده" و"جمال الدين الأفغاني" المرجعية الأساسية له.

دفع النشاط المتزايد لهذا التيار، وتبنيه للأيديولوجية الراديكالية المستنبطـــة من فكر سيد قطب ومؤلفه "معالم في الطريق" الذي أكد فيه أن الحاكمية ليست إلا لله وحده- وهو الموقف المتعارض مع نمط النظام السياسي القائم سواء في الجزائر أو في الدول العربية الآخذة بأيديولوجية القومية العربية والممارســـة الاشتراكية- بالسلطـــة السياسيـــة فـــي الجزائر إلى إلحاق مؤسسة المسجد بسلطة الدولة والإشراف على إدارته من خلال الهيئة الرسمية وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، بعد أن كان أحد المراكز الأساسية للقوى الإسلامية الموازية لسلطة الدولة في الجزائر، وبالتالي فإن ذلك الأسلوب في التعامل الذي تبنته السلطة والمتمثل في سياسة المد والجذب، اللين والخشونة، القبول والرفض، دفع بأصحاب الاتجاه الديني إلى التحول نحو الفعل السياسي. [1]

تعتبر قضية ازدواجية الثقافة على مستوى النخب المثقفة والسياسية من بين أهم العوائق التي تواجه الدولة الجزائرية واستقرارها ذلك أن هذه الازدواجية قادت البلاد إلى صراع ثقافي إيديولوجي، والذي تطور إلى صراع إيديولوجي وعقائدي تجلت ملامحه أكثر على مستوى اللغة والثقافة خاصة في التصادم بين العربية والفرنسية باعتبارهما وسيلتين لنقل الإيديولوجية .

---

1) الربيع جصاص ، مرجع سابق ، ص ص 274 ، 275 .

إن المتتبع للأزمة الثقافية الجزائرية يمكنه أن يدرك تلك التبعية الفكرية والاغتراب الاجتماعي والاستلاب الثقافي الذي يعيشه الشعب الجزائري والذي لم يكن المسؤول عنه، ونؤكد من خلال هذا البحث على الدور البارز لذلك الوضع في خلق الأزمة السياسية ومن بعدها الأزمة الأمنية في البلاد، خاصة إذا كانت سلطة الدولة هي التي أحدثت مثل هذه الحالة، وبالتالي فإن قوة إلغاء الآخر وقمعه ستكون أشد لأن السلطة تمتلك القوة بأشكالها المختلفة، في مقابل ذلك فإن رد فعل الطرف الآخر سيكون بالشدة ذاتها إن لم تكن أقوى لاعتبارات كثيرة سنتحدث عنها لاحقا في هذه الدراسة .

بدأ نشاط الجماعات الإسلامية بعد الاستقلال مباشرة اعتمادا على الزعامة الدينية القديمة لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين أمثال، الشيخ البشير الإبراهيمي، ففي أوت 1962م وجهت لجنة الثقافة نداءا إلى المكتب السياسي لجبهة التحرير الوطني طالبة منه الاهتمام باللغة العربية والإسلام، ردا على مطالب فدرالية جبهة التحرير الوطني في فرنسا بتأسيس دولة علمانية، إلا أن هذا النشاط الفردي سرعان ما اتخذ شكلا منظما بتأسيس "جمعية القيم" التي وجد فيها الدعاة المعزولون في الجوامع و المساجد أخيرا إطارا تعبيريا جاهزا، و سرعان ما فرضت نفسها هذه الجمعية على المسرح السياسي بفضل نشاطها الشديد في المساجد، ومحاضراتها في "نادي الترقي" مهد تأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين و التي اتخذت منه مقرا لها. بعدها أصدرت مجلة شهرية تحت عنوان "التهذيب الإسلامي".[1]

ابتداء من عام 1964م بدأت تدخل في صراع منظم مع السلطة الناشئة التي كان يتزعمها "أحمد بن بلة"، وقد نتج هذا الصراع عن محاولة هذا الأخير تهميش الاتجاه الإسلامـــي دون الابتعاد عن ثلاثيـــة "ابن باديس" الشهيرة، الإسلام دينـــي، العربية لغتي، والجزائر وطني، موظفة أي السلطة المؤسسة

1) لياس بوكراع ، مرجع سابق ، ص 225 .

2) علي سموك ، مرجع سابق ، ص 269 .

الدينية لتبرير مشروعها الاجتماعي الذي يقوم على أسس مغايرة لتلك التي كانت قائمة قبل 1962م.

تبلور المشروع الاجتماعي المغاير للمبادئ المتفق عليها قبل 1962م في ميثاق طرابلس، وبدأ يتخذ شكله النهائي في ميثاق الجزائر الذي صادق عليه المؤتمر الأول لحزب جبهة التحرير الوطني عام 1964م، الأمر الذي دفع "البشير الإبراهيمي"إلى التنديد بهذا المشروع، منتقدا اعتماد السلطة في رسم سياستها وتوجهاتها على المذاهب المستوردة، لا على أساس العروبة والإسلام، هذا على الرغم من محاولتها التوفيق بين الإسلام والاشتراكية وخاصة عندما يتعلق الأمر بإشكالية الصراع الطبقي، مبرزة خاصة العدالة في الإسلام للحصول على ضمانة رجال الدين وتبريراتهم للسياسة المتبعة في محاولة التوفيق بين الرغبة الكامنة للمجتمع في اعتماد الإسلام كموجه لعملية التنمية، وبين العلمانية التي ينادي بها تطبيقا الإطار المشرف على عملية التنمية. (2)

لم يلبث النزاع أن انفجر بين الجمعية والسلطة القائمة، حيث وقع الصدام الأول بينهما عام 1964م عندما أقيل رئيسها ، الشيخ "الهاشمي تيجاني" من منصبه كأمين عام لجامعة الجزائر، وفي 1965/29/22م، أقدم نظام بومدين الجديد على حظرها بسبب دعمها للإخوان المسلمين الذين حاكمتهم "محاكم ناصر" في مصر، عندها دخلت الحركة الإسلامية في طور السرية، غير أن جناحها الفرنكوفوني بقيادة المهندس "مالك بن نبي" ملأ الفراغ خصوصا في جامعة الجزائر وبعض أجهزة الدولة، وبتشجيع من مالك بن نبي أنشأ تلاميذه سنة 1969 مسجد الكلية المركزية في الجزائر، هذا المسجد يشكل ملتقى لجميع الطلبة المناوئين للإتحاد الوطني للطلبة الجزائريين الذي يهيمن عليه الشيوعيون.

2.3. دخول الحركة الإسلامية الجزائرية ميدان العمل السياسي السري

1.2.3. توجه الحركة الإسلامية في الجزائر نحو مهمة " تهذيب المجتمع "

منذ نهاية الستينات وبداية السبعينات، انتظمت عدة مجموعات إسلامية في السر، و كان أغلبها يميل إلى جماعة الإخوان المسلمين، أنصار الله، جنود الله، جماعة المودودي، وغيرها من المجموعات الإسلامية المناهضة للسلطة الحاكمة في البلدان العربية وقد تكاثرت في جميع مناطق الجزائر جماعات تعرف باسم "**الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر**"، إذن لقد انتقلت هذه الجماعات إلى مرحلة جديدة ميزتها مهمة واحدة هي تلك المتمثلة في "**تهذيب المجتمع**" ويعني ذلك انتقالهم إلى مرحلة العمل الحقيقي.

أكد "علي شريعتي" كثيرا على أن العودة للإسلام الحقيقي لا يقودها العلماء بل المثقفون التقدميون. وبرهن على أن الاحتمال الأكبر أن تحدث النهضة الإسلامية والإصلاح الإسلامي والتنوير الإسلامي على يد المثقفين وليس رجال الدين التقليديين . وزعم في محاضرة بعنوان " الدين ضد الدين " أن المثقفين في العصر الحديث هم المفسرون الحقيقيون للدين . وفي كتابه " ما العمل ؟ " أكد شريعتي على أن المفكرين التقدميين هم الشارحون الأصلاء للإسلام الديناميكي . وبرهن على نحو مشابه في كتيب يحمل اسم " الأمل " على أن التعليم المدرسي أو التقليدي يمكن أن يظل في يد علماء الدين ، غير أن الإسلام الحقيقي الذي ينتمي إلى " أبو ذر " يظل في يد " المجاهدين " [المقاتلين] والمثقفين الثوريين [1].

إن استعراضنا للفكرة السابقة إنما يرجع إلى تأكيدنا على الخطر الذي تشكله مثل هذه الأفكار على استقرار البنى الاجتماعية وذلك من خلال قدرتها على التغلغل في المجتمع والتأثير في أفراده، خاصة إذا كانت البيئة الاجتماعية مهيأة لاحتضان تلك الأفكار الخطيرة كما هو الشأن بالنسبة للمجتمع الجزائري الذي شكلت أزماته الاجتماعية والثقافية والاقتصادية والسياسية عوامل قوية ساعدت على انتشار الأفكار المتطرفة .

---

1) إدموند بيرك وإيرا لابيدوس ، مرجع سابق ، 468 .

بالعودة إلى مضمون أفكار "علي شريعتي" وبعد التحليل المتأني والدقيق لها وجدنا أن مثل تلك الاعتقادات إنما تأثيرها الخطير يكون ذو اتجاهين. أما الأول فيتمثل في انعدام الثقة في رجال الدين الحقيقيين الذين يمثلون في الدين الإسلامي أولياء أمور في المجتمع وما ينعكس عن ذلك من فوضى بين الأفراد فيما بينهم من جهة، وبين الأفراد والسلطة الحاكمة من جهة أخرى. وأما الثاني فيتمثل في تحويل تلك الثقة المسلوبة من رجال الدين الحقيقيين وإعطاءها لأشخاص هم بعيدون عن الدين الحقيقي ولا يحملون إلا القدرة الفائقة على التأثير من خلال الشخصيات الكارزمية التي يتميزون بها، وبالتالي فإن الأفكار المتطرفة التي تتخذ من الجهاد أساسا لها ــ وما يمثله ذلك من خطر على استقرار المجتمع على كافة المستويات ــ سيتمكن هؤلاء الأشخاص من إيصالها إلى عدد ليس بقليل من أفراد المجتمع وهذا ما يعطي للنقطة الثانية أهمية أكبر على الرغم من ارتباطها الوثيق بالنقطة الأولى .

وهو ما حدث فعلا في الجزائر حيث غابت الثقة عن الأئمة والعلماء المسلمين، حتى أنه في فترة معينة من تاريخ الجزائر أصبح هناك عزوف عن حضور خطبة الجمعة التي يلقيها الخطباء التابعين لوزارة الشؤون الدينية فيما كانت تتحول الجموع الغفيرة نحو المساجد التي يسيطر عليها أشخاص يحملون مثل أفكار "شريعتي" المتطرفة الداعية إلى تغيير الأوضاع المتأزمة بالعودة إلى الجهاد. لقد تركت تلك الأفكار تتسرب إلى المجتمع دون رقيب وكأن السلطة الحاكمة في تلك الفترة الحرجة التي عرفها العالم ككل لم تكن معنية بمثل هذه المهمة أو أنها لم تكن قادرة على استشراف المخاطر المختلفة التي يخلقها الفكر المتطرف على المجتمعات وهو فعلا ما كانت الجزائر من أكبر المتضررين منه.

وإذا كان الإسلام الثوري هو فقط الإسلام الحقيقي، فمن ثم كان الإسلام التقليدي إسلاما زائفا . وإذا كانت الأعمال أكثر من التقوى وهي العلامة الأكيدة على المؤمن الأصيل، فالثوريون بالتالي حتى لو كانوا غير متعلمين مسلمون أفضل من المتعلمين ولكنهم مجرد علماء محافظون . وإذا كان الإيمان أكثر من

التعليم يهب الإنسان فهما صحيحا، إذن فالمقاتل الورع يفهم الإسلام على نحو جيد عن عالم الدين التقليدي الذي يتمسك بالتعاليم التقليدية.

بلغت المعارضة الإسلامية في الجزائر في تلك الفترة ذروتها وكان ذلك في سياق النقاش الشعبي حول الميثاق الوطني، وهو البيان الإيديولوجي الحقيقي الذي ستكرس فيه اتجاهات البلد السياسية والاقتصادية والثقافية. في تلك الآونة أعلن الإسلاميون رفضهم لهذه التوجهات. واعتبارا من ذلك التاريخ انتقل الإسلاميون الحاملون لفكر الإخوان المسلمين وعلى رأسهم "سيد قطب" منظر الحركة إلى العنف للاستيلاء على الجامعات والسيطرة عليها. وظهرت في تلك المرحلة مواجهات بين تيارات مختلفة ومتناقضة في توجهها الإيديولوجي.

بعدما تمكن الإسلاميون من إقامة مساجدهم على صعيد جامعات البلاد، بدأوا يخرجون من العزلة التي كانوا قد وضعوا أنفسهم فيها طوعا ليبدأوا عملا طويلا من التهييج و التعبئة، وهكذا أنشأوا فعالياتهم الثقافية والرياضية الخاصة بهم، كما اعتمدوا تنظيما شبه سري للرد على الدعاية التي تبثها عناصر اليسار، و من أجل توسيع قاعدتهم النضالية من خلال تجنيد العناصر الطلابية في صفوفهم، قاموا بعمليات كوموندوس ضد الطلاب إبـــان الاحتفـــالات بأعياد آخر السنة ففـــي إطـــــار ما اعتمدوا تسميته بتهذيب الحياة الجامعية التي يعتبرونها إباحية جدا ومنافية للآداب و للدين. وفقا لهذه الرؤية فإنهم سيقومون بفرض وجهة نظرتهم تلك على كل المتحد الجامعي بالقوة وبالردع .[1]

يمكننا القول أن المتشددين الإسلاميين في الجزائر قد أخذوا على عاتقهم مهمة إصلاح المجتمع وإعادة ترشيده دون أن يوكلها إليهم أحد. حيث نصبوا أنفسهم وكلاء عن أفراد الشعب الجزائري مهمتهم "إعادة الرشد والصواب لهذا المجتمع" الذي رأوا فيه خروجا عن تعاليم العقيدة الإسلامية ــ دائما حسب رأيهم ــ وهذا ما أجاز لهم تشكيل جماعات كانت تستخدم العنف من أجل تحقيق تلك الأهداف عندها قاموا بالاعتداء على الفتيات السافرات، لتنتقل بعدها إلى

1) لياس بوكراع ، مرجع سابق ، ص ، ص 227 ، 228 .

الاعتداءات بالكيماويات ومنع الاختلاط في المراكز الجامعية وحتى في الحفلات العائلية.

إن الوضع الذي أصبحت تعرفه البلاد شكل مؤشرا ينبئ بدخول الجزائر مرحلة جديدة من تاريخها لم تشهدها من قبل حيث أصبح إصلاح المجتمع مبررا للعنف وهي السياسة نفسها التي تنتهجها الولايات المتحدة الأمريكية، إذ تبرر العنف الإرهابي الذي تستخدمه بـــ "حربها ضد الإرهاب"، واستخدامها للقوة والعنف ضد البلدان المستضعفة وسيلة لتحقيق هدفها "السامي" لنشر الديمقراطية وتلقينها لشعوب العالم. فأي تناقض هذا الذي يعيشه الأفراد في المجتمع العالمي المعاصر إنه أكبر الأخطار التي تعرفها البشرية! .

هناك أمر آخر لابد من الوقوف عنده وهو ذلك المتمثل في "موضوع الجوالة". ويتعلق الأمر بتلك الفروع المسلحة السرية التي أنشأتها المنظمة المصرية الأم (الإخوان المسلمـــين) وكان ذلك في الفتـــــرة التي كانت فيها المنظمـــة ممتثلـــة ومسالمة في بداية الأربعينات، و قد استهدفت من خلالها شخصيات سياسية، وقد كانت متواجدة منذ الثلاثينات إلا أن نشاطها برز مع بداية عقد الأربعينات، وهي بذلك تترجم صورة الإسلام السياسي في القرن العشرين.

إن إشارتنا لموضوع "الجوالة" جاء نتيجة لتداول هذه التسمية بين جموع الإسلاميين في الجزائر خلال فترة السبعينات. حيث كشفت التحريات بعد تلك الفترة عن وجود معسكرات تدريب على أطراف البحر في الجبال لمجموعات من الطلبة المنتميين إلى معاهد إسلامية حيث لقنوا فيها تقنيات شبه عسكرية بإشراف مدربين على شاكلـــة " الجوالة ". [1]

بعد سنوات من العمل السري اتخذت الحركة الإسلامية من الجامعة ومن مساجدها ميدانا اجتماعيا لممارسة الفعل الدعوي ومواجهة التيار اليساري. في تلك الفترة أصبحت كليات العلوم الدقيقة وكلية الطب بصفة خاصة تشكلا مخزونا لتجنيد المثقفين ذوي التكوين العلمي العارفين بقيم الغرب إلى جانب القيم

1) محمد عصامي ، مرجع سابق ، ص ص 31 ، 32 .

الإسلامية، من بين هؤلاء المثقفين خرج قائد الحركة وموجهها. أما كليات العلوم الإنسانية فكانت ميدان اليسار بلا منازع، وهذه المفارقة في الواقع المجتمعي الجزائري لها أكثر من دلالة سوسيولوجية. حيث التقت الجماعة في هذه المرحلة حول "مالك ابن نبي" وخطابه المؤثر في الأوساط الجامعية، إذ ركز على إبراز الذاتية الإسلامية و الشعور بها في مواجهة الذاتية الغربية التي سيطرت على الوسط الجامعي من خلال ملتقى الفكر الإسلامي.

عقب سلسلة من هذه الملتقيات شعرت السلطة أنها معنية بالأمر حيث تبينت خطورة هذه الملتقيات ووضعت يدها عليها بحجة التطوير والتحسين، فأصدرت مجلة الأصالة عام 1971م، بغرض الدفاع عن ثلاثية السلطة، الثورة الصناعية، الثورة الثقافية، الثورة الزراعية التي كانت عرضة لهجومات عنيفة من التيار الإسلامي. إلا أن هذه السياسة لم تزد حركة الدعوة الإسلامية إلا قوة متخذة من صدور قانون الثورة الزراعية في نوفمبر 1971م ميدان لصراع يتراوح بين التأييد المشروط والمعارضة المطلقة، الأمر الذي أدى إلى تبلور اتجاهين متعارضين: [1]

الأول: الاتجاه المتشدد، ويذهب إلى القول: إن الصلاة على أرض مؤممة محرمة شرعا .

الثاني: يرى في الثورة الزراعية تطبيقا لمبدأ العدالة في الإسلام معيبا على محتواها الشيوعي فجاءت معارضة "مذهبية" و ليست "مبدئية".

---

1) علي سموك ، مرجع سابق ، ص ص 270 ، 271 .

غير أن التيار الثاني بقي محصورا في الجامعة ليترك الساحة للتيار الأول خاصة أثناء مناقشة قانون الأسرة عام 1975م، وليبرز أكثر أثناء الميثاق الوطني 1976م، هذا الأخير صدرت في حقه فتوى مفادها أن هذا الميثاق قد أكثر من ذكر الاشتراكية وعقيدتها وأخلاقها ليحل بها محل الدين الإسلامي وعقيدته وأخلاقه، فالمسلم ليس له عقـــيدة وأخلاق غير ما جاء به الإســـلام، فالمسلمـــون لهم في دينهـــم الإسلامي ونظامهم ما يكفيهم و يغنيهم عن غيره، وهو كامل في تشريعهم شامل لمتطلبات الحياة الكريمـــة والشريفـــة لهذا لا يجوز للمسلميـــن تبديله بغيره من التشريعات سواء كان ذلك في باب الاقتصاد أو غيره. [1]

إن هذه الطروحات جاءت في فترة عنفوان التجربة البومدييينية الأمر الذي دفع حركة الدعوة الإسلامية إلى التركيز عن العمل المسجدي أكثر، خاصة مساجد العاصمة غير الرسمية، وبعد وفاة الرئيس بومدين بدأت تنتشر ظاهرة الدروس الخاصة، وهي عبارة عن دروس وعظية ذات طابع سياسي تتم في حلقات هدفها التوعية السياسية من منظور إسلامي بغرض تحضير المواطنين و تهيئتهم على كيفية العيش مع مجتمع يقوم على أساس تطبيق مبادئ الشريعة الإسلامية، مبرزة معالم الحل الإسلامي للمشاكل التي يعاني منها المجتمع. إلى جانب هذه الدروس أدت الانتصارات التي حققتها الثورة الإيرانية إلى إفراز شعور بضرورة توحيد حركة الدعوة الإسلامية، فكان " ملتقى العاشور" 1979 الذي ضم الاتجاهات التالية: الاتجاه السلفي، الإخواني، جماعة التبليغ، الاتجاه الصوفي، جماعة الطليعة . [2]

كانت الحركة الإسلامية قبل ذلك التاريخ غير منظمة وإلى حد كبير مشرذمة، لتبدأ بعد ذلك في التوحد على مستوى ممثليها القياديين سنة 1976م من خلال البيان الموقع عليه من طرف تنظيم "الموحدون" والذي أصبح يعبر أيديولوجيا عن الاتجاه الإخواني. وجاء هذا البيان رفضا صريحا لمشروع ميثاق 1976م

1) علي سموك ، مرجع سابق ، ص ص ، 271 .
2) المرجع نفسه ، ص ص 270 ، 271 .

والتمرد على نظام الحكم والمطالبة بتطبيق شريعة الإسلام، وفي ديسمبر 1978م بدأت الحركة الإسلامية الجزائرية في الالتقاء بجمهورها الجديد من خلال ظاهرة "حلقات الدروس" في المساجد والأحياء الشعبية. وكانت هذه الدروس عبارة عن حلقات وعظية ذات طابع سياسي وتلقين أيديولوجي حسب الميول الفكرية للجماعة التي كانت تشرف عليها. (1)

مع بداية الثمانينيات من القرن الماضي تمّ في الجزائر إنشاء جمعيات جديدة للأحياء والمساجد كانت بمثابة قاعدة للحركة الإسلامية من تيار الإخوان المسلمين. وقد سمحت هذه الأخيرة بوضع نسيج هيكلي وحيوي شكّل نواة الدعاية لإيديولوجيتها وتكوين المناضلين الذين انضموا فيما بعد إلى الحركة الإسلاموية، حيث تم الشروع في عمل يهدف إلى الاستحواذ على المجتمع ليكسبوا شيئا فشيئا ولاء شرائح واسعة ومختلفة من السكان . وبدأت تظهر علامات الدعوة التي تضاعفت والتي أدخلت في السياسة لتحضير المناضل من خلال صقل قاعدته وإيمانه مع استمرار في انتقاد الدولة وتوجهاتها الاشتراكية.

انتقل اتجاه الإخوان المسلمين من المطلب الروحي والأخلاقي إلى المطلب السياسي، لكن دون الاستجابة للرغبة في تنظيم حزب سياسي، مفضلين انتهاج الطريقة المرحلية مثلما تمليها الجمعية الأم . أي إعادة إخضاع القاعدة للتصور الإسلاموي الجديد، ثم تغيّر السلطة بصفة تلقائية.

إنّ الإسلاموية في الجزائر ليست إلاّ ثمرة للتحولات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية التي ميزت بشكل عنيف في أغلب الأحيان الساحة الوطنية، خلال الثمانينات. والتي استمدت جذورها من السنوات الأولى من الاستقلال بفضل نشاط بعض الأئمة الذين كان معظمهم أعضاء سابقين في جمعية

العلماء المسلمين الجزائريين الذين لم يترددوا في الابتعاد عن المبادئ الأساسية لجمعيتهم من خلال اقتحام المجال السياسي، والأئمة المحتجين المنتمين إلى جمعية "القيام". إنّ هذين التيارين المعارضين للتوجهات الاشتراكية للنظام انتقلا شيئا فشيئا من المطلب الروحي إلى مطلب سياسي وذلك لبروز إسلام سياسي أكثر.

---

1) عبد الباسط دردور ، مرجع سابق ، ص ص 25 ، 26 .

دفع سعي الجزائر لإعادة استعمال اللغة العربية في التعليم باعتبارها جزءاً لا يتجزأ من ثوابت الأمة وصورة تعكس هوية الشعب الجزائري وركيزة اعتمدتها الحركة الوطنية لتلف حولها أفراد الشعب من أجل قيام الثورة الجزائرية ــ والتي عمل الاستعمار الفرنسي منذ أكثر من قرن على تغييبها ــ النظام الحاكم في تلك الفترة إلى اللجوء إلى جلب مجموعة من المدرسين من الشرق الأوسط وكان ذلك بسبب النقص الكبير في الإطار البشري المتمكن في اللغة العربية وقد كانوا في معظمهم مناضلين في الحركة الإسلامية ممثلة في حركة الإخوان المسلمين تحديدا .

شكلت الجامعة إطاراً للتحسيس والتجنيد لم يسبق له مثيل سرعان ما أدى إلى مواجهات وأعمال عنف بين الطلبة الإسلاميين والطلبة الشيوعيين التابعين لحزب الطليعة الاشتراكية من أجل مراقبة كل النشاطات بهدف فرض وجهات نظرهم على كافة الأسرة الجامعية بالقوة والردع.

2.2.3 . خروج الدعوة الإسلامية في الجزائر من الجامعة وبداية الإعداد " للجهاد "

انطلاقا من "ملتقى العاشور" خرجت الدعوة الإسلامية في الجزائر التي اعتمدتها الحركة الإسلامية الجزائرية من أسوار الجامعة لتلتحم بالأوساط الشعبية نتيجة سياسة الانفتاح والمراجعة التي تبنتها السلطة الجديدة . هذه السياسة كانت

تحتاج إلى تصفية الاتجاهات التي كانت تساند سابقاتها، وبالتالي أعطت فرصة لحركة الدعوة لأن تنمو على حساب اليسار. [1]

وصل عدد الطلبة القادمين من "التعليم الأصلي"* حوالي مئة ألف (100.000) طالبا مسجلين في الجامعات في جميع التخصصات العلمية والأدبية باستثناء العلوم الاجتماعية التي لم تعرب بعد، لهذا يمكن فهم التجمهر الذي عرفته الجامعة المركزية بالعاصمة عام 1982م، حيث كان تجمهرا حاشدا للغاية. وفـــــــــــــــــي

هذه الفتـــــرة بالذات يظهر على ساحـــة الأحداث في الجزائر "مصطفى بويعلي" * وهو إمام "مسجد العاشور" بضواحي العاصمة الجزائرية حيث عبر وبصراحة في دليله الذي وجهه للسلطات عن تعظيمه وتبجيله "**قيام دولة إسلامية في الجزائر كمرحلة أولى**". ثم الانتقال إلى تكوين نظام يجمع كل البلدان الإسلامية عاصمته "مكة"، وحمل هذا الاسم الأول للكفاح ضد "الملحدين" فيما بعد اسم "الحركة الإسلامية في الجزائر"، إلا أنه لم يمر وقت طويل حتى تحول الاسم صراحة إلى "الحركة الإسلامية المسلحة".[1]

أصبحت الساحة الجزائرية مهيأة للمواجهة التي تستحدثها الحركة الإسلامية، ففي تلك الفترة من تاريخ الجزائر قام أتباع "بويعلي" بجمع أسلحـــة كافيـــــة، ونسجوا الشبكات لبدء "جهادهم". لقد أصبح الوضع مهيئا لإرسال الشباب الإسلاميين الجزائريين إلى الخارج للتكوين الشبه العسكري استعدادا

---

1) عبد الباسط دردور ، مرجع سابق ، ص 26 .

* هو برنامج تعليم ديني داخل مؤسسات بمستوى الثانوي كانت قد اعتمدته وزارة التعليم الأصلي و الشؤون الدينية التي كان على رأسها "مولود بلقاسم نايت بلقاسم" أثناء حكم الرئيس بومدين.

* هو من أنشأ أول تنظيم إسلامي جزائري مسلح ، وهو مجاهد قديم انضم إلى صفوف جيش التحرير الجزائري سنة 1957 م وهو في السابعة عشر من عمره ، اعتقل سنة 1958 م، أطلق سراحه بعد عامين حيث حظي بحرية مؤقتة . انضم غداة الاستقلال إلى جبهة القوى الاشتراكية FFS ، ثم انتسب إلى جبهة التحرير الوطني وصار منسقا لاتحاد الجبهة في " الشراقة " بالجزائر العاصمة . أبعدته قيادة FLN من منصبه ، يقال أنه أصبح يكن كرها شديدا لهذا الحزب.

1)محمد عصامي ، مرجع سابق ، 32 ، 33 .

للجهاد المقبل في الجزائر. وكانت رحلة المتطوعين التي ستقودهم عبر مراكز عبور بمشورة الإخوان المسلمين موجودة في كل من مدينتي "نيس" و"ليل" بفرنسا بالإضافة إلى مدن فرنسية أخرى، وتمثلت مهمة هذه المراكز في فرز واختيار العناصر المتطوعة قبل إرسالها إلى الشرق الأوسط من أجل التدريب. لقد تورط الكل في التجنيد والتربية العقائدية واستعمال الأسلحة لعدد من الشباب "المتطوع" في أفعال دموية لم يعرف التاريخ مثلها في الجزائر.

إن الذين سيعودون إلى بلدانهم الأصلية فيما بعد، ويحاولون إلهابها دما ودمارا ونارا تطبيقا لما تعلموه في مراكز التدريب الأفغانية والباكستانية هم أنفسهم من وجهوا من طرف الإخوان المسلمين. لقد صار الإخوان منذ عام 1982م رحما متعدد المنظمات كثير التيارات، هذا الرحم هو الذي ألهم منظمات أخرى أكثر قسوة مثل "الهجرة والتكفير" المنحدرة منه، والمتأثرة بتعاليم ودروس "حسن البنا" و"سيد قطب". كان ذلك برغم التحاقهم المتأخر بالمنظمة الأصولية المتطرفة، لقد أصبحوا في واجهة الأحداث بل في مقدمة الواجهة وصاروا ينشطون في إطار نظري للعنف وتحت شرعية دينية استلهموها من منظرهم "حسن البنا" .[1]

لقد شكل مطلع الثمانينات تطور مفاهيم ثقافة الموت أو الجهاد، وذلك على مستوى الفكر والتنظير وعلى مستوى الممارسة والفعل، وبالتالي ضاقت مساحة الاختلاف و قبول الآخر، بل ظهرت إمكانية إلغاء الآخر المختلف فكريا من خلال التصفية الجسدية. إن ثقافة الموت تلك التي تبناها الإسلاميون في الجزائر خلال تلك المرحلة من تاريخ الجزائر تجد جذورها- كما سبق وأن ذكرنا في موضع سابق- في كتابات و خطب الإمام "حسن البنا" مؤسس الحركة الإسلامية الأولى والملهمة في المنطقة العربية. وهنا نورد قولا لـ "حسن البنا" في " **رسالة الجهاد** " جاء فيه : "**أيها الإخوان، إن الأمة التي تحسن صناعة الموت، و تعرف كيف تموت الموتة الشريفة، يهب لها الله الحياة**

---

1) محمد عصامي ، مرجع سابق ، ص ـ ص 28 ـ 30 .

2) علي سموك ، مرجع سابق ، ص ص 267 ، 268 .

العزيـــزة في الدنيا والنعيم الخالد في الآخرة . وما الوهن الذي أذلنا إلا حب الدنيا وكراهيـــة الموت فأعـــدوا أنفسكـــم لعمـــل عظيـــم واحرصوا على الموت توهب لكم الحياة.. فاعملوا للموتة الكريمة تظفروا بالسعادة الكاملة.. رزقنا الله وإياكم كرامة الاستشهاد في سبيله". (2)

إن مثل هذه الكلمات المنتقاة ستجد صداها لدى المكونين للجماعة الإسلامية في الجزائر و ستكون مغذية لفكر أولئك الذين سيلتحقون بصفوفها بغرض الجهاد في سبيل الله و محاربة " **الكفرة** " الذين سيحكون سيطرتهم على مقاليد الحكم في الجزائر، الأمر الذي سيخلق حالة من الهيجان والإضراب في المجتمع الجزائري ستقود البلاد إلى فوضى كبيرة لا يعرف أحد متى ستنتهي وما الذي سينجم عنها .

خلاصـــة الفصـــــل

مثلت حركة الإخوان المسلمين حركة إمداد فكري للحركات الإسلامية المتشكلة في الدول الإسلامية عموما والعربية تحديدا، هذه الحركة تستمد أفكارها المتشددة المعارضة لأنظمة الحكم من منظريها المتشددين أمثال"حسن البنا" و"سيد قطب" هؤلاء كانوا ملهمين للحركة الإسلامية الجزائرية عند تشكلها .

ارتبط رجال الحركة الإسلامية في الجزائر بنظرائهم في حركة الإخوان المسلمين ارتباطا كبيرا لذلك نجدهم قد تأثروا بهم في طريقة تفكيرهم وفي أسلوب مواجهتهم للسلطة في بلدانهم التي رأوا أنها بعيدة عن الحكم الإسلامي الذي ينشدونه، لذلك وضعوا " هدم " البناء السياسي في تلك الدول وإعادة تشكيله هدفا رئيسيا يسعون من أجل تحقيقه وبالتالي ركزوا على الجانب السياسي في مهمتهم تلك .

إن المهمة الأساسية للحركة الإسلامية في الجزائر كانت "تهذيب المجتمع" الذي ــ حسب رأيهم ــ يميل إلى " الكفر " باعتباره لا يطبق شريعة الله، ويتبع الأيديولوجية الغربية التي تحمل مبادئا وقيما غريبة عن المجتمع الجزائري المسلم . فكانت بداية هذه المهمة من خلال الجامعة الجزائرية، حيث أسس الإسلاميون قواعدهم فيها لينطلقوا فيما بعد نحو الشعب الجزائري الذي احتضنهم، غير أن مواجهتهم للسلطة الجزائرية جعل هذه الأخيرة تمارس عليهم عنفا شديدا للقضاء عليهم وعلى حركتهم.